

(بركة الوقت ومكائنه وأهميه استثماره في ضوء الكتاب والسنة)

د. محمد شافعي مفتاح بوشية (1)

**THE BLESSING OF TIME, ITS PRESTIGE
AND THE IMPORTANCE OF INVESTING
IT IN THE LIGHT OF THE QUR'AN AND SUNNAH**

alshafie2000@gmail.com

ملخص:

يمثل الوقت أمرًا هامًا في حياة الإنسان، إذ به يتم ضبط أمور حياته، ومعرفة تصرفاته، وما من أمر من أمور حياتنا إلا وللوقت دخل فيه، عبادتنا، ومعاملتنا، وأحوالنا الشخصية، وآدابنا وسلوكياتنا، كل هذا وغيره مرتبط بالوقت من جانب أو آخر، ولهذا أعلى القرآن الكريم، والسنة النبوية من قيمة الوقت، وأقسم الله تعالى به في كتابه العزيز في عدة آيات بصيغ وأساليب مختلفة، وأطلق عليه مسميات متعددة، وحثت السنة النبوية على استثمار الوقت والاستفادة منها نظرًا لأهمية ذلك في الدنيا والآخرة، وإذا استشعر المرء قيمة الوقت تحصل على بركته، وانتفع به، حيث ينبغي على كل فئات المجتمع إدراك قيمة الوقت، وعدم إضاعته، وحسن استغلاله لاسيما في مرحلة الشباب، ولا سيما طلاب العلم الذين ينبغي أن ينتبهوا لتلك القيمة حتى يعود عليهم استثمارها بالخير والفلاح والنجاح، ويتناول هذا البحث إلقاء الضوء على الوقت وتعريفه وبركة الانتفاع به، وأهميته، وموقف القرآن الكريم والسنة النبوية منه، وكيفية استثماره في تحصيل البحوث العلمية، وينهج البحث منهجًا وصفيًا تحليليًا مستندًا على الأدلة الشرعية من نصوص القرآن والسنة.

الكلمات المفتاحية: الوقت- البركة- القرآن – السنة- استثمار.

Assistant Professor, Sharia and Law Faculty, International Islamic University Sultan Abdul Halim ⁽¹⁾
Kedah Darul Aman – Malaysia. Mu'adzam Shah (UniSHAMS)
alshafie2000@gmail.com – shafeimoftah@unishams.edu.my

Abstract: *Time is an important matter in a person's life, as it controls the affairs of his life, knowing his actions, there is nothing in our lives except that time plays a role in it, our worship, our dealings, our personal conditions, our manners and our behavior, all this and others are related to time from one side or another, and for this The Noble Qur'an and the Sunnah of the Prophet have increased the value of time, and God Almighty swore by it in his dear book in several verses in different forms and methods, and called it multiple names. the Prophetic Sunnah urged investing time and benefiting from it due to the importance of that in this world and the hereafter, and if one senses the value of time, he will obtain his blessing, and benefit from it, as all groups of society should realize the value of time and not waste it, and make good use of it, especially in the youth stage, especially the students of science who should pay attention to that value so that the investing in it return to them with goodness, prosperity and success. This research deals with shedding light on time, its definition and the blessing of benefiting from it, its importance, the position of the Holy Qur'an and the Sunnah of the Prophet from it, and how to invest it in the collection of scientific research. The research takes a descriptive and analytical approach based on legal evidence from the texts of the Qur'an and Sunnah.*

Keywords: *Time - Blessing - Quran - Sunnah - Investment.*

2022 JGBSE

Article Received: 21 November 2021, Revised: 08 December 2021, Accepted 07 January 2022

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق وإمام المرسلين، ورحمة الله تعالى للعالمين، سيدنا ومولانا محمد النبي الأمي الأمين، عليه وعلى آله وصحبه الغر الميامين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد...

فإنَّ الوقت عنصر من العناصر التي بها قوام حياة الإنسان، فلا غنى للإنسان عن الوقت، ولا قيمة لتصرفاته إن خلت من الاهتمام بالوقت، وبعد الوقت أمرًا ذا أهمية كبيرة في العبادات والمعاملات وغيرها من التكاليف، ولهذا يقتضي الأمر معرفة قيمة الوقت، وجوانب أهميته، والوقوف على طرق استثماره من خلال القرآن والسنة.

ومن هنا تأتي أهمية هذا البحث والذي يتناول هذه الأمور في إطار القرآن الكريم والسنة النبوية تحت عنوان "بركة الوقت ومكائنه وأهمية استثماره في ضوء القرآن والسنة"، والله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، وأن يجعله في ميزان حسناتي، وأن ينفع به من قرأه، وأن يغفر ما فيه من زلات، ويقبل ما فيه من عثرات، إنه سبحانه وتعالى نعم المولى ونعم النصير، وهو على كل شيء قدير.

1. المسألة الأولى: التعريف بمصطلحات عنوان البحث

1.1: تعريف الوقت لغة واصطلاحًا:

1.1.1: أولاً: الوقت لغة:

الْوَقْتُ في اللغة هو مقدارٌ من الزمان قدر لأمر ما، وكلُّ شيءٍ قَدَّرْتُ له حيناً فهو مُوقَّتٌ، وكذلك ما قَدَّرْتُ غايته فهو مُوقَّتٌ، وذكر ابن سيده أنَّ الوَقْتُ مقدار من الدهر معروف، وأكثر ما يُستعمل في الماضي، ويستعمل أيضاً في المستقبل، والتَّوَقُّيْتُ والتَّأَقُّيْتُ أن يُجْعَلَ للشيءِ وَقْتُ يختص به، وتقول: وَقَّتُ الشيءَ يُوقِّتُه ووقَّته يَقْتُهُ إذا بيَّنتَ حدَّه؛ ثم اتَّبع فيه فأطْلَقَ على المكان فقيل للموضع: ميقاتٌ (ابن منظور، 1414، لسان العرب: 2/1840).

1.1.2: ثانياً: الوقت اصطلاحاً:

لا يكاد يخرج المعنى الاصطلاحي للوقت عن المعاني اللغوية التي سبق ذكرها، فقد عرفه المناوي بأنه المقدار المحدود من الزمن، وذكر له تعريفين آخرين هما: أحدهما: أن الوقت هو الحد الواقع بين أمرين أحدهما معلوم سابق، والآخر معلوم به لاحق. والثاني: أن الوقت هو نهاية الزمان المفروض للعمل. ولهذا لا يكاد يقال إلا مقيداً نحو قولهم: وقت كذا (المناوي، 1990، التوقيف على مهمات التعاريف: 731، الفيروزآبادي، 2005، القاموس المحيط: 2/246).

1.2: الألفاظ المتصلة بالوقت:

يتصل بالوقت ألفاظ متعددة، بعضها ورد في القرآن الكريم، وبعضها ورد في السنة النبوية، وأذكر هنا تعريفها بإيجاز على النحو الآتي:

أ - الأجل: الأجل هو غاية الوقت في الموت وحلول الدين ونحوه، والأجل مُدَّة الشيء، والأجل أيضاً: لوقت المضروب المحدود في المستقبل وجمع الأجل (آجال)، والتأجيل هو تحديد الأجل (ابن منظور، 1414، لسان العرب: 11/11)، وقد جاء ذكره في القرآن في مواضع تصل إلى ثلاثين موضعاً.

ب - الحين: أكثر اللغويين على أن لفظ الحين المراد به وقت، أو مدة من الزمن مبهمة تصلح لجميع الأزمان سواء طالت أو قصرت، وأن تحديده مختلف فيه لدى المفسرين وغيرهم ممن تكلم في وجوه القرآن ونظائره، ومن أشهر تعريفاته: أنه وقت بلوغ الشيء وحصوله (المناوي، 1990، التوقيف: 303).

وقد ورد لفظ الحين في القرآن في ثلاثين موضعاً كلها بالتذكير إلا في موضع واحد، واختلف علماء الوجوه والنظائر في المراد به على حوالي تسعة أقوال.

ج - الزمن: الزمَنُ والزَّمانُ اسم لقليل الوقت وكثيره، والزَّمَنُ والزَّمانُ العَصْرُ؛ والجمع أَرْمُنٌ وأَرْمانٌ وأَرْمنةٌ، وهو يقع أيضاً على الفصل من فصول السنة وعلى مُدَّة ولاية الرجل وما أشبهه وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لعجوزٍ تحقَّى بها في السؤال «إِنَّهَا كَانَتْ تَأْتِينَا زَمَنَ خَدِيجَةَ، وَإِنَّ حُسْنَ الْعَهْدِ مِنَ الْإِيمَانِ» الحاكم، 1990، المستدرك على الصحيحين: 62/1 رقم 40)، أراد حياتها، ولم ترد كلمة الزمان في القرآن مطلقاً.

د- الميقات: هو الوقت المضروب للشيء، ويقال الميقات للمكان الذي يجعل وقت الشيء كميات الحج (المناوي، 1990، التوقيف: 731).

والفرق بين الميقات والوقت: أن الميقات أقدر ليعمل فيه عمل من الاعمال، والوقت وقت الشيء قدره مقدر أو لم يقدره ولهذا قيل مواقيت الحج للمواضع التي قدرت للإحرام وليس الوقت في الحقيقة ساعة غير حركة الفلك (العسكري د. ت، الفروق اللغوية: 525).

1.3: أجزاء الوقت:

للوقت - على جهة العموم - عدة أجزاء تختلف قصرًا وطولًا، فالوقت يشمل (لحظة، وساعة، وبرهة، وفينة، ويوم، وضحى، وعشية، وغداة، وأسبوع، وشهر، وسنة، وعقد، وقرن).

أما اليوم في حد ذاته، فالمتعارف عليه أنه مقسم إلى أربعة وعشرين ساعة، وكل ساعة من هذه الساعات لها اسمها ومعناها في اللغة العربية،

وقد ورد طرف من هذه الأوقات في القرآن الكريم، كالساعة، واليوم، والضحى، والشهر، والسنة، والقرون، ولا يتسع المقام لسرد جميع الآيات التي وردت فيها هذه الأجزاء، ودراستها دراسة تحليلية، وذلك لأن طرفاً كبيراً من هذا مبسوط في مواضعه من أحكام الوقت في العبادات والمعاملات والأنكحة ونحوها.

أيضاً فالوقت ينقسم إلى أجزاء مختلفة قصرًا وطولاً، حيث يشمل (اللحظة، والساعة، والبرهة، والفينة، واليوم، والضحى، والعشية، والغداة، والأسبوع، والشهر، والسنة، والعقد، والقرن). وقد ورد طرف من هذه الأوقات في القرآن الكريم، كالساعة، واليوم، والضحى، والشهر، والسنة، والقرون.

1.4: تعريف البركة والاستثمار:

1.4.1: البركة معناها: الزيادة والنماء، والتبريك: الدعاء للإنسان وغيره بالبركة، ومعنى قولنا: بَرَكْتُ عَلَيْهِ تَبْرِيكاً أي قلت: بَارَكَ اللهُ عَلَيْكَ. ومن معانيها أيضاً السعادة، حيث ذكر الفراء أن البركة التي في قول الله تعالى {رَحِمْتُ اللهُ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ} [هود: 73] هي السعادة (الثعالبي، 2001، تهذيب اللغة: 131/10).

1.4.2: الاستثمار: الاستثمار في اللغة بمعنى طلب الثمر، واستثمار المال أي طلب الثمر منه، ويقال: ثَمَّرَ ماله أي نمَّاه، ويقال: ثَمَّرَ اللهُ مالَكَ أي كَثَّرَهُ، وقوم مَثْمُرُونَ يعني كثيرو المال.

وفي الاصطلاح لم أقف له على تعريف فقهي دقيق، لأن الفقهاء غالباً ما يستعملون له ألفاظاً نحو: استنماء المال، نماء المال، التنمية كما في (الكاساني، 1986، بدائع الصنائع: 88/6، الشيرازي، دبت، المهذب: 384/1، الصاوي، دبت، بلغة السالك: 245/2).

ومن تعريفاته المعاصرة:

أنه "ارتباط مالي يهدف إلى تحقيق مكاسب يتوقع الحصول عليها على مدى مدة طويلة في المستقبل (طایل، مصطفى كمال، 1990، القرار الاستثماري في البنوك الإسلامية: 103).

وقيل فيه أيضاً إنه "التعامل بالأموال أو استخدامها من أجل الحصول على عوائد في المستقبل" (الزايدانين، جميل، 1999، أساسيات في الجهاز المالي: 251).

وجميع ما سبق ن التعريفات يتعلّق باستثمار المال، أو الاستثمار الحسي، أما الاستثمار المعنوي للوقت ونحوه فيمكن تعريفه بأنه "حسن إدارة الوقت واستخدامه بالطرق الصحيحة حتى يعود النفع على صاحبه بما يحقق المصلحة).

وحيث انتهت من تعريف هذه المصطلحات فإني أشرع في بيان موقف القرآن الكريم والسنة النبوية من الوقت من حيث بيان أهميته وقيّمته، وكيفية الاستفادة منه على النحو الآتي:

المسألة الثانية: صورة الوقت ومكانته في القرآن الكريم:

ورد ذكر الوقت بأجزائه المختلفة في القرآن الكريم بطرق متعددة، وفي مناسبات كثيرة، وأورد هنا أهمها:

2.1: القسم بالوقت: الغرض من القسم التأكيد لما يقسم عليه المرء، ولهذا شرع القسم بالله عز وجل وبأسمائه الحسنى وصفاته العلا، ونهي عن القسم بما سوى الله تعالى، فعن ابن عمر رضي الله عنهما أنه أدرك عمر بن

الْخَطَابِ فِي رَكْبٍ وَهُوَ يَخْلِفُ بِأَبِيهِ، فَذَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «أَلَا إِنَّ اللَّهَ يُنْهَاكُمْ أَنْ تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ ، فَمَنْ كَانَ حَالِفًا فَلْيَخْلِفْ بِاللَّهِ ، وَإِلَّا فَلْيَصْمُتْ» (البخاري،1422، الجامع الصحيح:، 27/8 رقم 6108، ومسلم، 1972، الجامع الصحيح، 1267/3، رقم 4364).

وقد أقسم الله تعالى بأشياء من خلقه (صفات أو ظواهر كونية أو مخلوقات ونحوها، وقسم الله تعالى ليس المراد به التوكيد كقسم البشر، فلهذا تعالى أن يقسم بما شاء من خلقه، ومن آيات القسم ما يلي:

أولاً: القسم بالفجر: الفجر جزء من أجزاء الوقت، واسم صلاة من الصلوات الخمس، وقد سميت باسمه سورة في القرآن الكريم مبتدأة بقول الله تعالى [وَالْفَجْرِ * وَلَيَالٍ عَشْرٍ * وَالشُّعْرِ وَالْوُثْرِ * وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرُ * هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حُجْرٍ *] [الفجر: ١-٥].

قال الماوردي: " قسم أقسم الله تعالى به، وهو انفجار الصبح من أفق المشرق، وهما فجران: فالأول منهما مستطيل كذب السرحان يبدو كعمود نور لا عرض له، ثم يغيب لظلام يتخلله، ويسمى هذا الفجر المبشر للصبح، وبعضهم يسميه الكاذب لأنه كذب بالصبح، وهو من جملة الليل لا تأثير له في صلاة ولا صوم. وأما الثاني فهو مستطيل النور منتشر في الأفق ويسمى الفجر الصادق لأنه صدق عن الصبح، وهو الذي تتعلق به الأحكام الشرعية من الصلاة والصوم" (الماوردي، د.ت، النكت والعيون، 264/6-265).

وإختلاف في الفجر المقسم به هنا على أقوال هي:

ثانياً: القسم بالصبح: أقسم الله تعالى بالصبح في موضعين موصوفا في كل موضع منهما بصفة، فالأول في قوله تعالى [وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ * إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبْرَى] [المدرثر: 34-35]، والمراد بالإسفار الإضاءة والتبين كما هو معروف من المعنى اللغوي للكلمة. حيث جاء القسم وجوابه في آيتين متتاليتين، مع الخلاف في المقصود بجواب القسم، على أقول هل المقصود به النار، أو تكذيبهم للنبي، أو قيام الساعة، كما هو مبسوط في مواضعه من كتب التفسير. والثاني: في قوله تعالى [وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ] [التكوير: ١٨]. ومعنى تنفس أي أضاء لونه، أو نشأ وأقبل، أو استضاء وارتفع (الطبري، 2000، جامع البيان في تأويل القرآن: 258/24).

وذكر الماوردي فيه تأويلين: أحدهما: طلوع الفجر، والثاني: طلوع الشمس، قاله الضحاك. وفي (تنفَسَ) وجهان: أحدهما: بان إقباله، والثاني: زاد ضوؤه، ويحتمل وجهاً ثالثاً: أن يكون تنفس بمعنى طال، مأخوذ من قولهم قد تنفس النهار إذا طال (الماوردي، د.ت، النكت والعيون: 217/6).

ثالثاً: القسم بالضحى: أقسم الله تعالى بالضحى في موضعين:

القسم الأول: مجرداً في قوله تعالى: [وَالضُّحَى] [الضحى: 1]؛ والمقصود بقوله "الضحى" النهار كله، وقيل: بل المقصود بالضحى ساعة من ساعات النهار وذلك حين يرتفع النهار، ويقال: الضحى حر الشمس، وقيل في معناه كلام آخر عند المتصوفة مثل: نور الجنة إذا تتور، أو النور الذي في قلوب العارفين كهيئة النهار (السمرقندي، د.ت، بحر العلوم: 567/3).

وذكر الماوردي فيه أربعة أقوال: الأول: أنه أول ساعة من النهار إذا ترحلت الشمس، قاله السدي، والثاني: أنه صدر النهار، قاله قتادة؛ والثالث: هو طلوع الشمس، قاله قطرب، والرابع: هو ضوء النهار في اليوم كله، مأخوذ من قولهم ضحى فلان الشمس، إذا ظهر لها، قاله مجاهد (الماوردي، د. ت، النكت والعيون: 291/6).

والمقسم عليه في السورة، هو أن الله تعالى ما ودع نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، ولا قلاه، ردًا على ما زعمته قریش بعد تأخر نزول الوحي فترة على رسول الله صلى الله عليه وسلم، على ما هو معروف عند جمهور المفسرين (الطبري، 2000، جامع البيان: 486/24، السمرقندي، د. ت، بحر العلوم: 567/3). والقسم الثاني: مضافًا إلى الشمس في قوله تعالى [وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا] [الشمس: 1].

وفي معنى قوله (وضحاها) أقوال للعلماء، منها: أن ضحاها يعني ضوءها، كما قاله مجاهد، واختاره الزمخشري. ومنها: أنه حرها، كما ذهب إليه مقاتل، ومنها أنه والشمس والنهار، وهو مروى عن قتادة (مقاتل، 1423، التفسير: 488/3، الطبري، 2000، جامع البيان: 451/24، 486/24، الزمخشري، 1407، الكشف عن حقائق غوامض التنزيل: 697/4).

رابعًا: القسم بالنهار: أقسم الله تعالى بالنهار في موضعين اثنين: الأول: في قوله تعالى [وَالنَّهَارُ إِذَا جَلَّاهَا] [الشمس: 3]، وفيه وجهان: أحدهما: أضاءها، يعني الشمس لأن ضوءها بالنهار يجلي ظلمة الليل، قاله مجاهد، الثاني: أظهرها، لأن ظهور الشمس بالنهار، ويحتمل وجهًا ثالثًا: أن النهار جلى ما في الأرض من حيوانها حتى ظهر لاستناره ليلاً وانتشاره نهاراً (الماوردي، د. ت، النكت والعيون: 282/6). والثاني: في قوله تعالى [وَالنَّهَارُ إِذَا تَجَلَّى] [الليل: 2].

خامسًا: القسم بالعصر: أقسم الله تعالى بالعصر في سورة سميت بهذا الاسم وهي قوله تعالى [وَالْعَصْرُ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالْحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ] [العصر: 1-3].

قال مقاتل: " أقسم الله عز وجل بعصر النهار، وهو آخر ساعة من النهار، وأيضاً العصر سميت العصر حين تصويت الشمس للغروب، وهو عصر النهار، فأقسم الله عز وجل بصلاة العصر"، والمقسم عليه كما في السورة هو أن الإنسان لفي خسر، والمقصود إما الكافر، أو الناس جميعاً إلا ما استثنى (الطبري، 2000، جامع البيان: 516/3، السمرقندي، د. ت، بحر العلوم: 590/3).

وهناك قسم بالليل في عدة مواضع، وقسم بالليالي العشر في سورة الفجر على خالف بين المفسرين في المقصود بها مما لا يتسع المقام لاستيعابه.

وما سبق ذكره من الآيات التي ورد فيها القسم بأجزاء من الوقت يدل على قيمة الوقت ومكانته في القرآن الكريم، وأنه من ضروريات الحياة التي ينبغي على المرء أن يتمسك بالمحافظة عليها، ولا يضيع وقته هباءً منثوراً، فإنه إن فعل ذلك فقد ضيع نعمة كبيرة من نعم الله تعالى علي.

ولهذا نجد جوانب قرآنية أخرى تُعلي من قيمة الوقت وترفع من شأنه، حين تجد آيات قرآنية تنثني على من يعمر الوقت بالخير، وآيات أخرى تدم وتوبخ من يضيعه على النحو الآتي:

2.2: الثناء على مُعَمِّرِي الوقت:

لما كانت قيمة الوقت عالية، ومكانته سامية، فقد أثنى الله تعالى على أناس عمروا أوقاتهم بطاعة الله عز وجل، وملأوه بذكر الله تعالى على كل حال، ولم يتركوا منه برهة تضيع هباء فقال جل شأنه في وصف قوم [إن في خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ] [آل عمران: ١٩٠-١٩١].

وفي موضع آخر يقول الله تعالى [لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَانِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ] [آل عمران: 113]، قال مجاهد يعني «ساعات الليل أوليه وأوسطه وآخره» (مجاهد، أبو الحجاج، 1989، التفسير: 577).

فهؤلاء قوم أفنوا أوقات حياتهم في طاعة الله تعالى، وجعلوا من أنفسهم ذاكرين لله شاكرين له قائمين متعبدين في أكثر أحوالهم فاستحقوا هذا الثناء من الله عز وجل.

2.3: ذم وتوبيخ من يضيعون الوقت:

ذم الله سبحانه وتعالى المضيعين للوقت، غير الحريصين على استثماره في طاعة الله تعالى، فقال جل شأنه في حق الكفار وقد دخلوا النار وأدركوا قيمة العمر الذي أضاعوه في معصية الله تعالى والكفر به فقال جل شأنه [وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارٌ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُحْفَفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَافِرٍ] [فاطر: ٣٦].

ثم جاءت الآية التالية لتبين أمانيتهم الباطلة التي لا سبيل لهم إلى تحقيقها وقد فات الأوان [وَهُمْ يَصْطَرِّحُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ] [فاطر: ٣٧].

وفي معنى (أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم) أقوال للعلماء: منها أن المعنى: أي ما يطول عمر أحد ولا ينقص من عمره إلا في كتاب: أي في اللوح المحفوظ، قال الفراء: “يريد آخر غير الأول فكأنه بالضمير كأنه الأول لأن لفظ الثاني لو ظهر كان كالأول كأنه قال: ولا ينقص من عمر معمر فالكناية في عمره ترجع إلى آخر غير الأول ومثله قولك: عندي درهم ونصفه: أي نصف آخر.

وقيل: إنما سمي معمرًا باعتبار مصيره إليه والمعنى: وما يمد في عمر أحد ولا ينقص من عمر أحد لكن لا على معنى لا ينقص من عمره بعد كونه زائدًا بل على معنى أنه لا يجعل من الابتداء ناقصًا إلا وهو في كتاب.

وروي عن سعيد بن جبير فيه: وما يعمر من معمر إلا كتب عمره: كم هو سنة كم هو شهراً، كم هو يوماً، كم هو ساعة ثم يكتب في كتاب آخر نقص من عمره ساعة نقص من عمره يوم نقص من عمره شهر نقص من عمره سنة حتى يستوفي أجله فما مضى من أجله فهو النقصان وما يستقبل فهو الذي يعمره. وروي عن قتادة أن المعمر من بلغ ستين سنة والمنقوص من عمره من يموت قبل ستين سنة. وقيل: المعنى إن الله كتب عمر الإنسان كذا إن أطاع ودونه إن عصى فأيهما بلغ فهو في كتاب والضمير على هذا يرجع إلى معمر. وقيل: المعنى وما يعمر من معمر إلى الهرم ولا ينقص آخر من عمر الهرم إلا في كتاب: أي بقضاء الله قاله الضحاك واختاره النحاس قال: وهو أشبهها بظاهر التنزيل (الطبري، 2000، جامع البيان: 447-449/20، الماوردي، دبت، النكت والعيون: 4/465، الشوكاني، 1414، فتح القدير: 4/485).

وقال الشوكاني: الأولى أن يقال ظاهر النظم القرآني أن تطويل العمر وتقصيره: هما بقضاء الله وقدره لأسباب تقتضي التطويل وأسباب تقتضي التقصير فمن أسباب التطويل: ما ورد في صلة الرحم عن النبي صلى الله عليه وسلم ونحو ذلك ومن أسباب التقصير الاستكثار من معاصي الله عز وجل؛ فإذا كان العمر المضروب للرجل مثلاً سبعين سنة فقد يزيد الله له عليها إذا فعل أسباب الزيادة؛ وقد ينقصه منها إذا فعل أسباب النقصان والكل في كتاب مبين فلا تخالف بين هذه الآية وبين قوله سبحانه: [وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْذِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ] وبهذا يتبين لنا مكانة الوقت في القرآن الكريم وقيمه، وهذا يدفعنا إلى الحفاظ عليه وحسن استثماره، ليعود بالنفع علينا في الدنيا والآخرة.

3: المسألة الثالثة: صورة الوقت ومكانته في السنة النبوية:

لوقت في السنة مكانة كبيرة بينها لنا النبي صلى الله عليه وسلم قولاً وعملاً، وأورد من ذلك ما يلي:

3.1: الوقت نعمة يغيب فيها كثير من الناس:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم «نِعْمَتَانِ مَغْبُوتَانِ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، الصِّحَّةُ وَالْفَرَاغُ» (البخاري، 1422، الجامع الصحيح: رقم 6412).

قال ابن حجر نقلاً عن بعض العلماء: "قد يكون الإنسان صحيحاً، ولا يكون مُتفرغاً لشُغله بالمعاش، وقد يكون مستغنياً، ولا يكون صحيحاً، فإذا اجتمعَا فغلب عليه الكسل عن الطاعة فهو المغبون، وتماثل ذلك أن الدنيا مزرعة الآخرة، وفيها التجارة التي يظهر ربحها في الآخرة، فمن استعمل فراغه وصحته في طاعة الله فهو المغبوط، ومن استعملها في معصية الله فهو المغبون، لأنَّ الفراغ يعقبه الشغل، والصحة يعقبها السقم" (ابن حجر، 1379، فتح الباري شرح صحيح البخاري: 11/230).

ويقول ابن حجر في موضع آخر "ضرب النبي صلى الله عليه وسلم للمكاف مثلاً بالتاجر الذي له رأس مال، فهو يبتغي الربح مع سلامة رأس المال، فطريقه في ذلك أن يتحرى فيمن يعامله، ويلزم الصدق والحدق لئلا يُغبن،

فالصحة والفراغ رأس مال، وينبغي له أن يعامل الله بالإيمان، ومجاهدة النفس وعدوِّ الدِّين، ليربح خيري الدنيا والآخرة" (ابن حجر، 1379، فتح الباري: 234/11).

وقال الشنقيطي: "الإنسان إذا كان في آخر عمره وشعر بأيامه المعدودة وساعاته المحدودة وأراد زيادة يوم فيها يتزود منها؛ أو ساعة وجيزة يستدرك بعضها مما فاته لم يستطع لذلك سبيلا فيشعر بالأسى والحزن على الأيام والليالي والشهور والسنين التي ضاعت عليه في غير ما كسب ولا فائدة؛ كان من الممكن أن تكون مريحة له، وفي الحديث الصحيح: "نعمتان مغبون فيهما الإنسان الصحة والفراغ". أي أنهما يمضيان لا يستغلها في أوجه الكسب المكتملة فيفوتان عليه بدون عوض يذكر ثم يندم ولات حين مندم" (الشنقيطي، 1995، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: 92/9).

وقد عد بعض المفسرين الوقت من النعيم الذي يسأل عنه المرء يوم القيامة في قوله تعالى [ثُمَّ لَسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ] [التكاثر: 8]، فروي في تفسير النعيم أقوالا، منها أنه الصحة والفراغ، وهو مروى عن سعيد بن جبير (القرطبي، 1964، الجامع لأحكام القرآن: 176/20، الثعلبي، 2002، الكشف والبيان عن تفسير القرآن: 282/10).

3.2: الوقت مهما طال فهو إلى زوال:

نبهتنا السنة النبوية إلى أن الوقت مهما طال زمنه فهو في النهاية إلى زوال، ولا يعود مرة أخرى، ولذلك فهو نقص من عمر الإنسان وقطع منه، ولذلك لا يتشبث به المرء، ولا يضمه.

فقد روي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال أَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَنْكِبِي فَقَالَ «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ، أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ». وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ يَقُولُ: "إِذَا أَمْسَيْتَ فَلَا تَنْتَظِرَ الصَّبَاحَ، وَإِذَا أَصْبَحْتَ فَلَا تَنْتَظِرَ الْمَسَاءَ، وَخُذْ مِنْ صِحَّتِكَ لِمَرَضِكَ، وَمِنْ حَيَاتِكَ لِمَوْتِكَ" (البخاري، 1422، الجامع الصحيح: رقم 6416).

قلت: والعاقل من يدرك قيمة الوقت وقيمة أجله وأنه سينتهي لا محالة، والأجل محيط بالإنسان من كل جانب وهو في تناقص مستمر، ولا ينبغي للمرء أن يسيطر أمله على أجله، فقد أخرج البخاري بسنده عن عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - قَالَ خَطَّ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - خَطًّا مَرَبِّعًا ، وَخَطًّا خَطًّا فِي الْوَسْطِ خَارِجًا مِنْهُ ، وَخَطًّا خَطًّا صِغَارًا إِلَى هَذَا الَّذِي فِي الْوَسْطِ ، مِنْ جَانِبِهِ الَّذِي فِي الْوَسْطِ وَقَالَ «هَذَا الْإِنْسَانُ ، وَهَذَا أَجَلُهُ مُحِيطٌ بِهِ - أَوْ قَدْ أَحَاطَ بِهِ - وَهَذَا الَّذِي هُوَ خَارِجٌ مِنْهُ ، وَهَذِهِ الْخُطُوطُ الصِّغَارُ الْأَعْرَاضُ ، فَإِنْ أَخْطَأَهُ هَذَا نَهَشَهُ هَذَا ، وَإِنْ أَخْطَأَهُ هَذَا نَهَشَهُ هَذَا» (البخاري، 1422، الجامع الصحيح: رقم 6417).

4: المسألة الرابعة: جوانب أهمية الوقت وكيفية استثمارها

رأينا فيما سبق كيف تعاملت نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية مع الوقت، وأبانت عن مكانته وأهميته وقيمه في حياة الناس، وبالتالي فإن الإنسان إذا نظر إلى جوانب أهمية الوقت، ومدى اعتباره في الشريعة الإسلامية أمكنه أن يدرك كيف يستثمره بالشكل الصحيح، وبيان ذلك على النحو الآتي:

1- أن الوقت نعمة، والنعمة جديرة بأن يحافظ عليها المرء، فالله سبحانه وتعالى جعل الله الوقت نعمة امتن بها على عبادة، فقال تعالى: [وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ * وَآتَاكُم مِّنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَطُلُوءٌ كَفَّارٌ] [إبراهيم: ٣٣ - ٣٤].

2- أن الأسئلة التي يسأل عنها العبد يوم القيامة، اثنان منها تخص الوقت، كما في حديث ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «لَا تَزُولُ قَدَمُ ابْنِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ خَمْسٍ، عَنْ عُمْرِهِ فِيْمَ أَقْنَاهُ، وَعَنْ شَبَابِهِ فِيْمَ أَبْلَاهُ، وَمَالِهِ مِنْ أَيْنٍ أَكْتَسَبَهُ وَفِيْمَ أَنْفَقَهُ، وَمَاذَا عَمَلَ فِيْمَا عَلِمَ» (الترمذي، 1975، السنن: 612/4، رقم 2416).

وهذا يتطلب من المرء الاستعداد للإجابة عن هذه الأسئلة يوم القيامة، فمن حافظ على الوقت واستثمره في طاعة الله تعالى كان حرياً بالإجابة الصحيحة يوم القيامة التي يؤجر عليه، ومن لم يحافظ عليه أو لم يستثمره في الخير، حرم ثواب هذه النعمة يوم القيامة، وعثرت عليه الإجابة.

4- أن شعائر الإسلام تثبت قيمة الوقت: فالصلوات الخمس لها أوقات معينة لا تصح قبلها، وتحرم بعدها إلا لعذر، وكذا صوم رمضان وحج البيت والزكاة وغيرها كلها مرتبطة بالوقت إما بدءاً أو انتهاءً أو استمراراً، وهذه العبادات "لا تقبل إلا إذا أدبت في أوقاتها المعتمدة شرعاً؛ فهي مرتبطة إذا ارتباطاً وثيقاً بالوقت، الذي هو عبارة عن الظرف أو الوعاء الذي تؤدي فيه" (الجريسي خالد عبد الرحمن، دبت، إدارة الوقت من المنظور الإسلامي والإداري، 32).

وهذا يعني بالضرورة أن يحافظ المسلم على العبادة في وقتها، التزاماً بتعاليم الشرع، سواء كانت عبادات بدنية خالصة كالصلاة والصيام، أو بدنية ومالية كالحج للمستطيع، أو مالية خالصة كالزكاة.

5- أن الوقت يمثل جزءاً هاماً في بعض المعاملات المالية كالإجارة، والشركة وغيرها، كما هو معروف في العقود، وهذا يتطلب من المرء الوفاء بوعده، والالتزام بعهده، ومراعاة الشروط التي تقوم عليها العقود، فهذا من حسن المعاملة.

6- أن الوقت له دور واضح في الأحكام المتعلقة بالأسرة كالعدة في حق المرأة المطلقة، أو المتوفى عنها زوجها، وكمدة الرضاعة، والأيلاء وغيرها من الأبواب. ومقتضى هذا أنه لا يجوز للمرء أن يتعدى حدود الله تعالى ويخالف تعاليمه في الأمور الموقوتة بالزمان، فلا يجوز خطبة المرأة في عدتها، ولا يجوز للمعدنة الخروج من بيتها في فترة العدة إلا للضرورة، وهكذا.

6- الوقت من مقومات الحياة فيجب اغتنامه قبل الضياع، فعن عباس رضي الله عنهما "إِعْتَمِ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ، شَبَابِكَ قَبْلَ هَرَمِكَ، وَصِحَّتِكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَغِنَاكَ قَبْلَ فُقْرِكَ، وَفَرَاغِكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَحَيَاتِكَ قَبْلَ مَوْتِكَ" (الحاكم، 1990، المستدرک: رقم 7846)

فقد لخص النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الكلمات الموجزة البالغة ما تناوله الباحثون في كتب عديدة، وهذا من جوامع الكلم، إذ تحدت عن أهمية الوقت والمبادرة إلى استثماره واغتنام قوة الشباب، وفرص الفراغ في العمل

الصالح المثمر، وحذر من خمس معوّقات تحول دون استثمار الأوقات، كل ذلك في عبارات وجيزة لا تبلغ كلماتها العشرين (الجريسي، د.ت، إدارة الوقت من المنظور الإسلامي والإداري، 35)

ومن أقوال السلف من التابعين والفقهاء في الوقت ما يلي:

قول الحسن البصري: "أدركت أقواماً كان أحدهم أشح على عمره منه على درهمه" (البغوي، 1983، شرح السنة: 225/14).

قول ابن القيم: "أعظم هذه الإضاعات إضاعتان هما أصل كل إضاعة، إضاعة القلب وإضاعة الوقت بإضاعة القلب من إثارة الدنيا على الآخرة وإضاعة الوقت من طول الأمل فاجتمع الفساد كله في اتباع الهوى وطول الأمل والصالح كله في اتباع لهدى والاستعداد للقاء" (ابن القيم، 1973، الفوائد: 112).

وختاماً فإن الوقت من النعم الكبيرة على المرء، فينبغي عليه أن يتفطن لأهميته، ويدرك قيمته، ويحافظ عليه، فإنه مسؤول عنه يوم القيامة، مؤاخذ بما جنت يده على وقته من تضييع أو إهمال أو تقصير، فنسأل الله تعالى أن يصلح لنا أوقاتنا ويحفظها لنا، ويعيننا فيها على طاعته، ويجعل أوقاتنا جميعاً في خير ونفع في الدنيا والآخرة، إنه نعم المولى ونعم النصير، وهو على كل شيء قدير، والحمد لله رب العالمين.

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم:

- ابن القيم، محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد، (1973)، الفوائد، دار الكتب العلمية، ط2، بيروت.
- ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر، (1379)، فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار المعرفة، د. ط، بيروت.
- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين، (د.ت)، لسان العرب، دار صادر، ط1، بيروت.
- البخاري، محمد بن إسماعيل، (1422) الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، المشهور بـ "صحيح البخاري"، ترقيم/ الشيخ محمد فؤاد عبد الباقي، دار طوق النجاة، ط1، المصورة عن الطبعة السلطانية، مصر.
- البغوي، محيي السنة أبو محمد بن مسعود بن محمد، (1983)، شرح السنة، تحقيق، شعيب الأرنؤوط، ومحمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، ط2، دمشق، بيروت.
- الترمذي، محمد بن عيسى بن سؤرة بن موسى، (1975) سنن الترمذي، تحقيق وتعليق/ أحمد محمد شاكر، ومحمد فؤاد عبد الباقي، وإبراهيم عطوة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط2، مصر.
- الجريسي، (د.ت)، خالد عبد الرحمن، إدارة الوقت من المنظور الإسلامي والإداري، موقع المكتبة الشاملة، د.ط.

- الحاكم، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه (1990)، المستدرک علی الصحیحین، تحقیق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، لبنان.
- الزيدانين، جميل، (1999)، أساسيات في الجهاز المالي، دار وائل للطباعة والنشر والتوزيع، د.ط.
- الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمر، (د.ت)، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق/أ عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، د.ط، بيروت.
- السمرقندي، نصر بن محمد بن إبراهيم، (د.ت)، بحر العلوم، تحقيق/دمحمود مطرجي، دار الفكر، د.ط، بيروت.
- الشنقيطي، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني، (1995)، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د.ط، بيروت – لبنان.
- الشوكاني، محمد بن علي بن محمد، (د.ت)، فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، دار المعرفة، د. ط، بيروت.
- الشيرازي، أبو إسحاق إبراهيم بن علي، (د.ت)، المذهب في فقه الإمام الشافعي، دار الكتب العلمية، د.ط، بيروت.
- الصاوي، أبو العباس أحمد بن محمد الخلوتي، (د.ت)، بلغة السالك لأقرب المسالك المعروف بحاشية الصاوي على الشرح الصغير دار المعارف، د.ط.
- طابيل، مصطفى كمال، (1990)، القرار الاستثماري في البنوك الإسلامية، مطابع غباشي، د. ط، القاهرة.
- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد، (2000)، جامع البيان في تأويل القرآن (تفسير الطبري)، تحقيق/أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1، بيروت.
- العسكري، الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد، (د.ت) الفروق اللغوية، تحقيق/محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، د. ط.
- الفيروزآبادي، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب (2005)، القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، ط8، بيروت.
- الكاساني، علاء الدين أبو بكر بن مسعود، (1986م)، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت.
- الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري، (د.ت)، النكت والعيون أو تفسير الماوردي، تحقيق/ السيد عبد المقصود عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، د.ط، بيروت.
- مجاهد، مجاهد بن جبر المكي القرشي المخزومي، (د.ت)، تفسير مجاهد، تحقيق/ عبدالرحمن الطاهر محمد السورتي، المنشورات العلمية، د. ط، بيروت.

- مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري، (1972) المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم) المعروف بـ صحيح مسلم، ترقيم الشيخ: محمد فؤاد عبد الباقي-: دار إحياء التراث العربي، ط1، بيروت.
- مقاتل بن سليمان البلخي، (2003)، تفسير مقاتل، تحقيق/ أحمد فريد، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت.
- المناوي، محمد عبد الرؤوف، (1410)، التوقيف على مهمات التعاريف، دار الفكر المعاصر بيروت، ودار الفكر دمشق، ط1.
- النيسابوري الثعلبي، أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم، (2002)، الكشف والبيان، تحقيق/محمد عاشور، ونظير الساعدي، دار إحياء التراث العربي، ط1، بيروت.
- الهروي، محمد بن أحمد بن الأزهر الهروي، (2001)، تهذيب اللغة، تحقيق/ محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، ط1، بيروت.